فرنسا وسورية والعدوان على غزة

■ حميدي العبدالله

لدى اندلاع الأزمة في سورية، كانت فرنسا أكثر من الولايات المتحدة حماسة لتكرار عدوان الناتو على ليبيا في سورية. بل حين توصلت سورية والدول الكبرى إلى اتفاق لنزع السلاح الكيماوي السوري، وتراجع إدارة أوباما عن التلويح بالعدوان العسكري المباشر، أبدت فرنسا أسفها وظلت هي والسعودية و«إسرائيل» تلوم الإدارة الأميركية إلى يومنا هذا.

كانت فرنسا أكثر الدول تطرفاً في الوقوف ضدّ سورية إلى حدّ أنّها الدولة الأوروبية الوحيدة التي انفردت بتعيين سفير من المعارضة بدلاً من السفير السوري الرسمي، وهي الدولة الأوروبية الوحيدة التي ما انفكت تشجع الولايات المتحدة على التورّط عسكرياً في سورية.

كثر صدقوا ادعاءات الحكومة الفرنسية بأن عداءها الشديد لسورية هو تعبير عن تضامنها مع الشعب السوري، وليس لأن الطاقم الاشتراكي الحاكم في فرنسا هو من أشّد أنصار الكيان الصهيوني تطرّفاً، وجميع مواقفه العدائية حيال سورية كانت تحت تأثير تحريض العدو الصهيوني وجماعات النفوذ المرتبطة به في فرنسا والولايات المتحدة.

أتى العدوان الصهيوني الأخير على قطاع غزة ليفضح الحكومة الفرنسية، ويكشف حقيقة الفريق الحاكم برئاسة فرنسوا هولاند ودرجة ارتباطه وارتهانه للكيان الصهيوني ولجماعات النفوذ المؤيدة والداعمة له، فمنذ اليوم الأول للعدوان صدرت مواقف من أعلى المستويات، وفي مقدمها لهولاند تحمّل الفلسطينيين المسؤولية وتعلن وقوفها إلى جانب الكيان الصهيوني في عدوانه الغاشم على قطاع غزة، إذ أدى العدوان إلى سقوط مئات الأطفال والنساء والشيوخ من جراء آلة الحرب الصهيونية العمياء، إنما لم يصدر استنكار واحد على لسان أي مسؤول فرنسي ضد همجية الاحتلال الصهيوني ضد سكان غزة، بل على العكس هاجم المسؤولون الفرنسيون المقاومة لإطلاقها الصواريخ ضد الكيان الصهيوني!

أكثر من ذلك، عندما خرج ألوف الفرنسيين من جميع الألوان المشاركة وطيف المجتمع الفرنسي في تظاهرات لاستنكار العدوان الصهيوني، لجأت السلطات الفرنسية إلى منع المسيرات وحاولت قمعها عبر استخدام الغازات المسيلة للدموع في سابقة نادرة الحصول بتاريخ فرنسا التي تدعي حرصها على حقوق الإنسان، وتسبّب إطلاق الغازات بحالات اختناق وإغماء.

عكس ردّ فعل الحكومة الفرنسية حقيقة ارتباطات هذه الحكومة وأجندتها الحقيقية وزيف ادّعاءاتها بأنها نصير للشعوب المظلومة، وبأنها حريصة على الديمقراطية ومدافعة عن حقوق الإنسان، وأكد أنّ الحكومة الفرنسية الراهنة هي ألعوبة في يد العدو الصهيوني والجماعات المتطرفة والعنصرية، وأن قيم الحرية والعدالة التي تتغنى بها الحكومة الاشتراكية ليس لها أي تأثير في سلوك هذه الحكومة السياسي.

كلمات فصل الخطاب... خريطة طريق نحو المستقبل

■ محمد ح. الحاج

واثق الخطوة، متّزناً، قيصراً في إطلالته كما في كلمته، وربما كان قادة العشرة يتابعونه من جحورهم، معظمهم ليس أهلاً لقيادة نفسه وليس عشرة من الرجال. أدّى القسم بثقة وتحدث بثقة أكبر. رسم خريطة طريق تضمّنت وعداً للوطن والشعب بانطلاقة جديدة إلى الحياة الحرة الكريمة. هل تجوز المقارنة بين فيليب السوري و... نيرون؟*

هي سمة القائد الذي حاز ثقة الغالبية الساحقة من أبناء شعبه في ظروف غير طبيعية. قائد عرف القيمة العظيمة لهذه الثقة وحجم التضحية التي أقدم عليها أبناء الأمة. وجه إليهم الشكر والتقدير والتزم بوعد أن يعمل جاهداً لردّ بعض هذا الجميل، فالدماء التي سفحت دفاعاً عن الوطن، والأرواح التي فاضت، لا يمكن أن تعود إلى أهلها وأحبائها. هذه سنّة الحياة، يمليها حبّ الوطن والحرية والحفاظ على الكرامة. الرئيس سيعمل على حفظ كرامة الأهل. وعد نثق بأنه سيحققه، فهو الحرّ، ووعد الحرّ دين.

كلمة الرئيس الأسد بعد أداء القسم كانت شاملة وفيها العديد من المحاور تناولتها أقلام المحللين في الداخل والخارج، وكان إجماع على أنها فعلاً خريطة طريق تتفق مع قراءته طموحات أبناء شعبه ورغباتهم، فهو من وعد بأنه سيظلّ من أبناء هذا الشعب المخلصين، يستمدّ قوته من قوة الشعب، يستنير بآراء أبنائه ويعمل لمصلحتهم.

في توصيفه المؤامرة على سورية كان صريحاً وواضحاً إلى أبعد الحدود وأعطى المسمّيات والغايات والأهداف، وأصاب عين الحقيقة عندما قال إنّ جوهر المؤامرة يتلخص في استهداف تصفية القضية الفلسطينية وموقف سورية من هذه التصفية بعدما توافق العربان والأغراب على ذلك تحت مُسمّى المفاوضات إلى أجل غير محدود، مع استمرار عمليات القضم والتهويد والحصار والتجويع لإخضاع آخر المقاومين على الأرض الوطنية. وكان قوله إنّ البوصلة هي فلسطين وإنّ القضية الفلسطينية هي قضية سورية، مدعوماً بوقائع على الأرض مع ما يحصل اليوم في غزة واعتراف العدو بأنّ الصواريخ الفاعلة في ردّ المقاومة كانت سورية رغم إنكار بعض أهل المقاومة (حماس)، وأنّ هذه الأسلحة لم تعبر عن طريق النظام المصري أياً كان، وإنما بطرائق ووسائل أخرى لم يتمكن العدو وعملاؤه من كشفها، وهذا مصدر رعب العدو وداعميه بسبب الجهل المطبق لأعدادها وأماكن تخزينها والمدى الذي يمكن أن تصل إليه.

حصل العدو على الضوء الأخضر لمهاجمة غزة واجتياحها، براً وبحراً بعدما أشبعها من الجو قصفاً وتدميراً، وكثير من الأعراب يضحكون علناً وهم من الشامتين.

المحور المهمّ في حديث الرئيس الأسد: وصف من خرج من السوريين (نظفت البلاد نفسها من هؤلاء، فلا مكان ولا قيمة لهم بين أبناء الشعب السوري). إذن، لن يكون مسموحاً ولا مقبولاً عودتهم ولا... توبتهم. هذا القرار هو قرار شعبي بامتياز، فالشعب لفظهم ولم تكن لهم قواعد أساساً بين صفوفه، ولو كان لهم مثلها لما لجأوا إلى استيراد شذاذ الآفاق والمنحرفين والمتعصّبين المتهوّدين، واستورد لهم مشغلوهم المرتزقة من جميع أنحاء العالم لنصرة فورتهم والوصول إلى فرض حكمهم على شعب لا يقبلهم في الأساس. وهكذا قال الرئيس الأسد مخاطبا شعبه: لقد رفعوا شعار الحرية الزائف، فمارس السوريون حريتهم على طريقتهم... أنجزوا دستورهم واختاروا القيادة التي يرغبون وبها يثقون، ودافعوا ببسالة منقطعة النظير عن سيادتهم في هذه الخيارات، وأثبتوا للعالم أنهم أصحاب الحرية والديمقراطية الحقيقيتين، حيثما وجدوا، في الداخل والمغتربات، قولاً وممارسة. واستحق السوريون الأشراف، وهم الأغلبية الساحقة، تحية وتقدير قيادتهم التي ما توانت عن أداء واجبها، فاستمرّ الربان على دفة السفينة غير هيّاب ولا مبال بأنواء عاصفة تشاركت في إثارتها عشرات الدول والأنظمة. أما الجرح الذي وضع إصبعه عليه بقوّة فكان في قوله: إذا كان للربيع العربي الحقيقي أن يقوم فجدير أن يبدأ في أكثر الدول تخلفاً ورجعية وديكتاتورية والتي يحرم فيها الإنسان من ممارسة حق الانتخاب، وتحرم فيها المرأة من المشاركة في الحكم، وحتى من قيادة السيارة!

أقرّ الرئيس الأسد المعروف بشفافيته وواقعيته، بأنّ بعض المطالب التي أثيرت في البداية كانت مطالب محقة، وأنّ من أسبابها الكثير من الفساد المالي والإداري، وهو في أساسه فساد أخلاقي. ونرى أنه يتوجب على المواطن أن يشارك في مكافحة هذا الفساد لا أن يتورّط فيه، فالموظف هو من أبناء هذا الشعب وليس مستورداً، والوظيفة يجب أن يكون أساسها الكفاءة وممارسة الأخلاق في أدائها، وانطلاق الموظف (كبيراً كان أو صغيراً) من مبدأ أنه في خدمة المصلحة العامة لا المصالح الشخصية أو خدمة مصالح فئة أو جماعة. السوريون متساوون في الواجبات ويجب أن يكونوا متساوين في الحقوق، في تكافؤ الفرص، في تقاسم الثروات والمنافع العامة. المساواة في المواطنة تكفل القضاء على الإحساس بالغبن وتقف سداً منيعاً في وجه الغرباء الذين يتصيّدون في مياه الوطن إن كانت غير صافية. تلميح الرئيس الأسد فيه دعوة صادقة إلى الوعي والالتزام بالأخلاق في الممارسة الوطنية للجميع من دون استثناء، فهل نكون على قدر المسؤولية تطبيقاً وممارسة ونتمثل قول الرئيس الراحل حافظ الأسد: لا أريد لأحد السكوت على الخطأ ولا التستر على العيوب والنواقص... ومثال بسيط لا بدّ من التذكير به: إن شخصاً يدفع المال للوصول إلى مركز ما، وبعد سنوات يصبح من أصحاب القصور والملايين والسيارات وشقة في أكثر من مدينة هو بشهادة أقرب الناس إليه، فاسد يمارس الرشوة والسرقة. دفع ليفسد وخطط لممارسة الفساد، والمواطن الذي يدفع ليصل إلى غاية لا تتفق والقانون، أو ليجد له الموظف طريقة في الاحتيال على القانون هو فاسد أخلاقياً مارس الفساد ومن ناحية ثانية يكون سباقاً في نقد الفساد. صحيح أنّ الحاجة في بعض الأحيان تدفع إلى مثل هذه الممارسات، لكنها لا تبرّر أبداً الإيغال في دروبها. تبدأ صغيرة فتكبر مثل كرة الثلج، وقد لا ينفع معها علاج.

استثمار الثروات السورية الاستثمار الأمثل في إعادة البناء (العمراني والنفسي) ورفع مستوى المعيشة للحدّ من الفساد ضمن رقابة مشدّدة، وتطبيق قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب ضمن معايير الكفاءة، وضمان نزاهة القضاء وحريته... هي الأسس في إعادة الحياة السورية إلى صفائها وصيرورتها الأمثل من دون تجاوز إعادة النظر في المناهج التعليمية ورفع مستواها والتشدّد في عمليات منح الشهادات، العليا منها بخاصة، واعتماد المعايير الدولية في ذلك، خاصة لناحية المعادلة وإخضاع حملة الشهادات من مصادر معينة لامتحانات قد تكون مفروضة راهناً، لكنها غير كافية (للفساد هنا أيضاً دوره). الوطن في حاجة إلى كفاءات حقيقية لتوفير نهضة حقيقية وليس تراكماً كمّياً للشهادات على الورق فحسب.

سورية صامدة بشعبها، متفائلة بمستقبلها، بخطط قائدها لمرحلة جديدة، خطة طريق يجب أن تتضافر لها جهود المخلصين لتطبيق وتنفيذ رؤية الرئيس بعيدة المدى على دروب النصر والعزة وإعادة البناء.

* لحظة دخول السيد الرئيس إلى القاعة بعد استعراض حرس الشرف، صرخت: هو القيصر السوري الجديد، وقد بدأت بكتابة مقالتي بعد ذلك، إذ تذكرت دخول بوتين وتعليق أحدهم: عاد القيصر. وما شبّهت الرئيس الأسد به، إنّما تذكرت عظمة فيليب العربي.

غزّة... ما مات حقّ وراءه مطالب

■ د. سلوى خليل الأمين

غدروكِ غزة لأنهم والإنسانية على طرفيْ نقيض، لكنهم لم ينتبهوا إلى حجم غضبكِ المسكون في نفوس أطفالكِ الرضع، وسواعد فوارسك الشجعان، وصبر أمهاتك اللواتي لم يتخلّين يوماً عن جعل فلسطين خبزهم اليومي، وحليب أطفالهم، وترانيم الهدهدات في العشيّات المؤانسة نسائم الأرياح، الحاملة غضبها ناراً ودماراً وخوفاً على البلد الأمين.

غزّة هاشم تقاتل وحيدة وتصلي نيران ألمها الدائم على العدو الصهيوني، فهي التوّاقة أبداً إلى مراح فلسطين، أرض الأجداد، التي ورثها الأبناء والأحفاد بصكوك موقعة بالغضب الساطع، المرصوف فوق جباههم منذ عام 1948، عام النكبة والهجرة والتشرّد في دنيا الله الوسيعة التي لم تمنحهم هدوء المسارات ولم تزيّن أيامهم بتواشيح الفرح ولم تسعدهم بالأمن والأمان، بل بقيت الغصّات قاطرة الطريق التي تعيد رسم التاريخ من جديد، حين الذاكرة في حالة تأهّب مستمرّ، تعرّج دوماً على تواريخ الاجتياحات «الإسرائيلية» وحروبهم الهمجية المدروسة بدقة، والمطعمة بالفجور والطيش المتهالك على معايير بروتوكولات حكماء صهيون التي سيجعلها أبناء غزة رذاذات رماد تطفئ بصيرة العيون الصهيونية وحلفائها، ومن يمالئها من بني يعرب بجورهم وإجرامهم وحكاياتهم «البطولية» الوهمية!

ترى ألا تستحق غزة استنفار البطولات وفروسية أهل الصحراء، صحراء الصمت التي ترفرف في سمائها تلاوين الحكايات الغزاوية لاتهاب الموت ولا النار الحارقة ولا الأسلحة المتطورة ولا الغزو البرّي ولا قوة لواء غولاني العسكرية، فهي الحاضرة المتأهّبة، رافعة سيف الكرامة دفاعاً عن الشرف المستباح في أروقة جامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة وكواليس البيت الأبيض العجوز، وصمودها هو الانتصار المباح، رغم الجروح النازفة، والدمار الهائل، وعديد القتلى من أطفال ونساء وشيوخ وعجائز، فالهدف الأسمى فلسطين، والدرب بدأ من غزة، غزة المكتوبة في أجنداتهم بأحرف حمراء، هكذا قالت الأمهات وهنّ يندبن أطفالهنّ، وهكذا صرخ الآباء وهم يدفنون أولادهم وأمهاتهم والعجائز، إذ كانت صرخات غضبهم ترتفع إلى أعنّة السماء تشهد للعالم كله أنّ الكلّ فدا غزة... بل فدا فلسطين، فليفهم «الإسرائيلي» المحتلّ، أنّ ما دام هناك عرق فلسطيني ينبض بالحياة، فالكلّ مشروع شهيد أو شهيدة لأجل العودة، عودة فلسطين إلى أحضان بنيها الصامدين والمقاومين... وإن تماهى على حدّ السيف صوتهم الصارخ المهدّد بالويل والثبور وعظائم الأمور لكلّ من سيتطاول على غزة وناسها الصابرين.

ترى هل تغفرين يا غزة لحكام العالم، خاصة ا«لأخوة» منهم و«الأشقاء»، الذين يتغنّون بالحرية والديمقراطية، هذا الصمت الملوّح بتهجّؤات الزمن الفارغ من مضامينه الإنسانية، حين اللحظات المنكوبة هي المرحلة الحاسمة في تاريخ النضال والجهاد الفلسطيني والمقاوم، فلا استسلام، ولا ارتهان، ولا ذلّ وخنوع، ولا مغفرة رغم كثرة الأكفان التي تدثرت جثامين شهدائك، ومن لحظات الحزن الفاقع القابع فوق أسوار حاراتك ومآذنك، وبسمات الموت التي تجلل الشفاه.

تكتمل الرواية في غزة، رواية الإجرام والتحدي البطولي، لكن يبقى الحلم مرتاحاً فوق مجرى الدمع والدم حين القتال في الجوّ والبرّ يحصد الأبرياء من أبنائها من دون ذنب اقترفوه، بل جريمتهم أنهم ينادون بوطن هو حق لهم، وأرض ورثوها أباً عن جد، وأبجدية ما نطقت سوى بلغة الضاد، وطيب هوى ما أحبّ يوماً سوى فلسطين المغروسة في البال ضجيج خواطر لا تهدأ، ما دامت المواعيد متأهّبة على خطوط النار، وما دام زيت العيون يمصل دماً حارقاً في ليالي الشدة والفجور، وما دام صقيع العروبة في واد سحيق لا تصله أنوار الشمس، التي تدفئ القلوب وترتب مسارات كواكبها في زمن القحط والجفاف وبرودة العافية.

فيا عرب الصمت المدقع في غيبوبة المسافات، ألا رأيتم مجازر الأطفال في غزة، ألا رفت جفون عيونكم لمنظر الدمع والدم والقلوب المحترقة من لوعة وحسرة وغضب وفراق؟ ما أنتم؟ ومن أنتم؟ وماذا ستقولون غداً وبعد غد وبعد بعد غد لأطفال غزة القادمين من أرحام أمهاتهم وسيوفهم في أيديهم؟ هل ستخبرونهم أنّ جهلكم وغباءكم وعمالتكم ضيّعت فلسطين ماضياً، وها هي تغضّ النظر اليوم عما يجري في غزة هاشم من مجازر لا تقبلها الضمائر الحية، ولا منظمات حقوق الإنسان، ولا حتى الشعوب التي رأيناها في الدول الغربية تتظاهر معلنة النفير، في حين لم تخرج في أيّ شارع عربي تظاهرة استنكار مليونية تدين العدوان «الإسرائيلي» الفاجر ومجازره اللاإنسانية. فأين أنتم يا قادة الأمة الأشاوس الذين رفعتم رؤوسكم عالياً، ومددتم صراخ حناجركم عرض البرّ والبحر، وأنتم تدينون سورية ودفاع قائدها وجيشها عن أمن ناسها وأمانهم، واليوم تغضّون النظر عن الانتهاكات الصهيونية المجرمة في حق غزة وأهلها في هذا الشهر الرمضاني الفضيل. غزّة حقاً أسطورة لا تصدّق، وأعجوبة لم يرصدها مؤرّخ ولم يلفها شاعر بشطور قصيدته.

لذلك كله، يؤلمني الدمع الذي لا لزوم له حين المواقف مؤلمة، والجريمة فظيعة تخطت الأعراف اللوجستية والإنسانية كلّها، ويؤلم أكثر الصمت المتماهي ابتهال لحظات، قد تقصر وقد تطول، حين الواقع هو العجز المطبق، وحين الإرادة العربية معطلة بفرمان أميركي صهيوني، لهذا هم غير قادرين على نصرة غزة وأهلها أو تشجيع مقاومتهم وتصديهم وصبرهم، فالقيام بفعل الجهاد والمقاومة أمر غير مرغوب فيه صهيونياً، ولذا على غزة أن تكون الذبيحة والضحية، مثلما حصل في سورية والعراق ولبنان وليبيا والسودان وغيرها من الدول العربية التي غُضّ النظر عن تقسيمها وتفتيتها وقتل علمائها وناسها إرضاء للصهيونية العالمية التي ستجعل الجميع في فوهة البركان عما قريب.

اطمئنوا يا عرب، لن تهزم غزة ستبقى عصية على الجرح مهما تمادى بنو صهيون في غيّهم وإجرامهم... وإنّ غداً لناظره قريب. فمثلما صبرنا في جنوب لبنان وظفرنا بالنصر المؤزّر، هكذا سنلاقي غزة هاشم في يوم النصر المنتظر، عروساً مجلّلة بالإيمان: ما مات حق وراءه مطالب.

دروس من العدوان على غزّة

■ صبحي غندور*

جيّدٌ بالتأكيد هذا الصمود العظيم الذي أبدته المقاومة الفلسطينية في قطاع غزّة، لكن ما تحتاج إليه القضية الفلسطينية الآن هو أكثر من صمود قطاع منفرداً. فهي تحتاج إلى انتفاضة شعبية فلسطينية شاملة تضع حدّاً لما حصل في العقدين الماضيين من تحريف لمسار النضال الفلسطيني، ومن تقزيم لهذه القضية التي كانت رمزاً للصراع العربي/صهيوني على مدار قرن من الزمن، فمسخت لتصير مسألة خاضعة للتفاوض بين سلطة فلسطينية في الضفة الغربية ودولة «إسرائيل» ترفض الاعتراف حتّى بأنها دولة محتلّة، كما ترفض إعلان حدودها النهائية.

كان خطأً تصغير حجم القضية الفلسطينية في مجال العمل السياسي والمفاوضات، وسيكون خطأً كذلك الاستمرار في تحجيم عمل المقاومة الفلسطينية ضدّ الاحتلال وحصره في جبهة غزّة وحدها. فلو تتحقّقت فعلاً وحدة القيادة الفلسطينية ووحدة برنامج العمل على مستوى سائر المنظمات الفلسطينية الفاعلة داخل الأراضي المحتلة وخارجها، لكان مهمّاً عندئذ أن يتكامل أسلوب العمل السياسي ومسار التفاوض مع أسلوب المقاومة الشعبية الشاملة في المناطق الفلسطينية كافة، ومع أسلوب المقاومة المسلّحة حين يستدعي الأمر ذلك.

المشكلة الأساسية تكمن في الانقسام الفلسطيني الذي ازداد حدّةً بعد توقيع «اتفاقيات أوسلو» والتي ثبت عجزها بعد عشرين عاماً عن تأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. لذا كانت الآمال كبيرة في أن تكون حكومة الوحدة الفلسطينية مدخلاً إلى توافق وطني فلسطيني يحقق التكامل بين العمل السياسي والعمل المقاوم، بين الضفّة وغزّة والأراضي الفلسطينية، وعموم الشعب الفلسطيني أينما كان.

في الأهداف «الإسرائيلية» للعدوان على غزّة، إضافةً إلى إضعاف المقاومة المسلحة واغتيال قادتها، إعادة الشرذمة إلى الجسم الفلسطيني من خلال ما يمكن أن يترتّب على العدوان من إحراجات لقيادة السلطة التي لا تستطيع تبنّي العمل المقاوم المسلح (بسبب التزامات أوسلو) ولا يمكن أيضاً أن تقف متفرّجة على ما يحدث في غزّة.

أيضاً، في الأهداف «الإسرائيلية» للعدوان على غزّة امتحان مدى التزام الرئيس الجديد في مصر باتفاقيات «كامب ديفيد» وبالمعاهدة مع «إسرائيل»، إضافةً إلى دراسة ردود الفعل العربية والإسلامية بعد إزاحة حركة «الإخوان» عن الحكم في مصر، والتي كانت تدعم «حركة حماس»، وبعد التطورات الأخيرة في العراق وسورية حيث أخطار التقسيم والحروب الأهلية تتصاعد في دول المشرق العربي، وهي أخطار تصبّ تماماً في المصالح «الإسرائيلية» وتجعل «العربي يكره أخاه العربي أكثر من كرهه للإسرائيلي»!

تفيد «إسرائيل» بالتأكيد من الموقف الأميركي الذي يعتبر كلّ عدوان لها على غزّة «دفاعاً عن النفس»! فإدارة الرئيس أوباما مصابة بداء الإدارات الأميركية السابقة، التي تقف باستمرار مع المعتدي «الإسرائيلي» ضدّ الضحيّة الفلسطيني، وتبرّر الأعمال العدوانية «الإسرائيلية» بحجّة الدفاع عن النفس! وجدنا إدارة أوباما تعكس الانحياز الخطير لـ«إسرائيل» في الإعلام الأميركي ولدى أعضاء الكونغرس، من دون حتّى إشارة بسيطة من الرئيس أوباما لمعاناة الشعب الفلسطيني المحاصر في غزّة منذ سنوات، أو لجذور المشكلة التي هي الاحتلال «الإسرائيلي» منذ عقود. وكان في التصريحات الأميركية عن حق «إسرائيل» الدفاع عن نفسها، وبأن «لا دولة يمكن أن تقبل بتعرّضها للصواريخ دون ردّ»، إجحاف كبير في حقّ الشعب الفلسطيني. أيضاً لا شعب يمكن أن يقبل بالاحتلال لعقود، وبالحصار لسنوات من دون أن يقاوم ذلك. ألم تكن ولادة «الولايات المتحدة الأميركية» التي احتفلت مطلع هذا الشهر بعيد استقلالها حصيلة مقاومة الهيمنة البريطانية ورفع شعار «عش حرّاً أو مت»؟! فتصريحات «البيت الأبيض» والخارجية الأميركية وأعضاء في الكونغرس تكرّر ما يقوم به معظم الإعلام الأميركي من تشويه لحقائق الصراع العربي والفلسطيني مع «إسرائيل»، ومن تصوير للمشكلة الآن في غزّة كأنّها أزمة بين دولتين اعتدت إحداهما على الأخرى! أو كأنّ ما تفعله «إسرائيل» في غزّة مشابه لما تقوم به أميركا وحلف الناتو في أفغانستان وفي أماكن أخرى من ملاحقة وقتل لجماعات «إرهابية»! فموضوع الاحتلال «الإسرائيلي» مغيَّب عن المواقف الرسمية الأميركية ومهمَّش كثيراً في الإعلام الأميركي، كما هي ظالمة أيضاً مساواة مسألة «الإرهاب» بالمقاومة ضدّ الاحتلال.

لكن المشكلة ليست في الموقف الأميركي فحسب أو في بعض المواقف الدولية الأخرى، فالأوضاع العربية مسؤولة أيضاً عن حجم المأساة التي عاشها ويعيشها الشعب الفلسطيني. وهل كانت حكومة نتنياهو لتُقدم على هذا العدوان، مثلما أقدمت على مثله أكثر من مرّة، لَو كانت الضفة وغزّة والقدس في حال من التوحّد والتنسيق الجاد سياسياً وأمنياً؟! ثمّ إنّ غزّة، قَبل حرب 1967، كانت قطاعاً فلسطينياً تحت الإشراف المصري الكامل، وتخلّى أنور السادات إثر معاهدته مع «إسرائيل» عن مسؤولية القطاع، فهل كان ليحصل هذا العدوان الجديد على غزّة لو ربطت مصر بين استمرار المعاهدة مع «إسرائيل» وإقامة دولة فلسطينية تضمّ الضفة وغزّة والقدس، إضافةً بالطبع إلى ضرورة فتح المعابر بين غزّة ومصر؟! ولماذا لا تحصل غزّة والشعب الفلسطيني الخاضع للاحتلال على ما حصلت وتحصل عليه قوى سياسية عربية مسلّحة قاتلت في ليبيا وتقاتل الآن في سورية والعراق؟! أليس ذلك مخالفاً لما يُفترَض حصوله عربياً من مقاومة مسلّحة ضدّ الاحتلال، ومن مقاومات سلمية ضدّ حكومات؟!

إنّ عناصر المواجهة العربية والفلسطينية للاحتلال «الإسرائيلي» ما زالت حتّى الآن غائبة. فوحدة الشعب الفلسطيني ومنظماته وقياداته هي العنصر الأهم المفقود حالياً، وكذلك الحدّ الأدنى من التضامن الرسمي العربي ما زال بعيداً، والدور المصري الريادي في المنطقة لم تتمّ استعادته بعد. ذلك كلّه هو الواقع الآن، إضافةً إلى استمرار حروب أهلية عربية بأشكال مختلفة، وتزايد عوامل التفكّك لا التوحّد في المجتمعات العربية. فكيف لا تفيد حكومة نتنياهو من هذا الواقع العربي المزري؟! وكيف يأمل البعض في تغيير المواقف الأميركية والدولية لمصلحة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني؟!

امتحن نتنياهو في غزّة قوى فلسطينية وعربية ودولية في ظلّ غياب القوّة العربية الفاعلة، لكن لعلّ من «فوائد» ما يحصل اليوم إعادة الحيوية إلى قضية فلسطين التي هُمّشت عمداً في السنين الماضية، وبالتالي تصحيح «البوصلة» العربية، بعدما تسبّبت «معارك التغيير الداخلي» بفقدان معيار معرفة الصديق من العدوّ!

* مدير «مركز الحوار العربي» في واشنطن
Sobhi@alhewar.com

خصخصة المقاومة والإعلام

■ راسم عبيدات - القدس المحتلة

لا بدّ بدءاً من توجيه التحية إلى جميع السواعد المقاومة والمقاتلة في قطاع غزة، بغضّ النظر عن انتماءاتها السياسية والحزبية، فالجميع مستهدف، وواجب الجميع التصدي والردّ، والاحتلال يشنّ عدواناً همجياً بربرياً على شعبنا في قطاع غزة حصيلته أكثر من مئتي شهيد وأكثر من 1500 جريح، أغلبهم من الأطفال والنساء والمدنيين. هذا العدوان يفترض أن يوحّد ألوان طيفنا السياسي كافة على اختلاف مشاربه السياسية ومنابته الفكرية، خاصة في الخطاب والعمل الإعلامي، كذلك في الميدان والسياسة، وفي هذا الإطار لا بدّ من تسجيل تقدير العالي لقائد حركة الجهاد الإسلامي الدكتور رمضان شلح الذي يغلّب في خطاباته ورسائله ومقابلاته الوطني على الفئوي والحزبي. ورغم الدور البارز الذي تلعبه حركة الجهاد الإسلامي في المجابهة والتصدي للعدوان الصهيوني على القطاع، لم يتحدث عن هذا الدور، وكم صاروخاً أو قذيفة أطلقت الجهاد الإسلامي على مدن الداخل الفلسطيني المحتلة. كما أكد على أن العدوان هو عدوان على الشعب الفلسطيني وليس على فصيل بحد ذاته أو نفسه. وفي المقابل، نرى أن الحرب على قطاع غزة لم توحّدنا في المجال السياسي لناحية أولويّة توحيد جهودنا وطاقاتنا كلّها كشعب فلسطيني وكحكومة «وفاق» وطني لوقف العدوان والحرب الهمجية على قطاع غزة، ولفضح ما يرتكبه الاحتلال من جرائم إبادة وتطهير عرقي وجرائم ضدّ الإنسانية في حق شعبنا الفلسطيني. وكان لافتاً على هذا الصعيد قصور سفاراتنا وممثلياتنا في الخارج، كذلك الدور الباهت لوزارة الخارجية وأيضاً أداء السلطة لم يكن كما يجب، بل إن بعض التصريحات للعديد من المسؤولين الفلسطينيين حول العدوان على قطاع غزة كانت على يمين تصريحات العديد من قادة الدول الأجنبية كأنهم وسطاء وليسوا جزءاً من الشعب الفلسطيني، ولعلّ موقف مندوب السلطة الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة في حاجة الى مساءلة جادة، ومن ثم العمل على إقصائه اذا ثبتت صحة التصريحات المنسوبة إليه، فنحن لسنا في حاجة إلى مثل هؤلاء الأشخاص الذين يخلقون قهراً لدى المواطن الفلسطيني ويشعرونه بأن من يجب أن يكون مندوب فلسطين لا يتحدث باسم فلسطين، أو أشخاص أمثال جمال نزال الناطق باسم حركة فتح في أوروبا والذي فعلت اللجنة المركزية خيراً بوقفه عن العمل وتجميده، كذلك أحد المحسوبين على حركة حماس والمغرّد باسمها ومدير مركز أبحاث أو إعلام في لندن اسمه ابراهيم حمامي ولا يجيد سوى عبارات التخوين والتكفير ويرى أنّ حركته وحركة «الإخوان المسلمين» تملكان الحقيقة المطلقة وما دونهما رجس من عمل الشيطان! فحماس تفعل خيراً إن تخلصت منه. وفي المقابل رأينا أنّ ثمة تسابقاً على الكسب الذاتي على حساب دماء شعبنا الفلسطيني وتضحياته، وأي قرار بالموافقة على الهدنة أو التهدئة يجب أن يكون قراراً جماعياً ولا ينفرد به طرف دون آخر، لذا كان الخطاب الإعلامي غير موحد، بل كان في العديد من الأحيان مفرقاً ومنفراً وليس موحداً وجامعاً على المستويين السياسي والميداني، وما يشعرك بأن لا وجود لحكومة وفاق وطني أو إنهاء للانقسام إلاّ في تصريحات المجاملة والدجل والنفاق، لكن عمليات التحريض والطعن والتشكيك والقدح استمرت على أشدّها، بل ربما كانت أقصى من قبل مرحلة العدوان على قطاع غزة.

في المتابعة والتغطية والموضوعية الإعلامية تلحظ أن فضائية الأقصى التابعة لحركة حماس الأكثر فئوية، وهي تختزل مقاومة الشعب الفلسطيني وصموده في حركة حماس، فالشعب هو حماس، وحماس هي الشعب الفلسطيني، ولا تجد فيها أي مقابلات أو لقاءات خارج إطار الذين يصفقون ويهللون ويمتدحون حماس. وكذلك هو تلفزيون فلسطين الذي لم تكن تغطيته للعدوان على قطاع غزة في المستوى المطلوب، وفي حين كانت فيه القنوات الفضائية غير الفلسطينية تبث وتتابع أخبار العدوان على غزة، لم يكن الخبر أو أنباء العدوان تصل إلى تلفزيون فلسطين، وفي إطار التغطية والمقابلات واللقاءات نرى في الغالب الوجوه نفسها مكرّرة.

ثمة تغطية ومتابعات إعلامية تتسم بقدر عالٍ من الموضوعية من قبل فضائيتي «فلسطين اليوم» و«الميادين»، فهي مفتوحة لجميع ألوان الطيف السياسي الفلسطيني وتنقل الأخبار إلى جميع فصائل العمل الوطني والإسلامي وتجري المقابلات واللقاءات مع مختلف ألوان الطيف السياسي الفلسطيني وتتيح لها حرية التعبير عن رأيها ووجهة نظرها.

وفي إطار صحافتنا المقروءة نلمس أن جريدة «القدس» أكثر موضوعية في التغطية والنقل للعدوان على قطاع غزة.

إنّ عمليات الخصخصة للمقاومة والإعلام في إطار الحرب والعدوان على قطاع غزة وغيرها من شأنها أن تحلق الضرر بقضيتنا وبمقاومتنا، ولا نقول إنّ ليس من حق الفصائل أن تعبّر عن مواقفها ورؤيتها السياسية، بيد أن المواقف كلّها ينبغي أن تصب في خدمة القضية والهدف العام على نحو يعزز وحدة شعبنا ولا يفرّقه أو يقسمه.

يجب ألاّ تحصل عملية استثمار خاص لتضحيات والآلام شعبنا ومعاناته، فذلك يزيد حالة الإحباط وفقدان الثقة في صفوف شعبنا بدلاً من تعزيزها، فما يتحقق في المقاومة والميدان يجب أن يكون خادماً للسياسة، وأي عملية تفاوضية مع العدو وما يقوم به البعض من تقزيم وتشكيك في خيار المقاومة ونهجها، فمن شأن ذلك تعميق حالة الانقسام، وتقديم خدمة مجانية إلى الاحتلال ليضاعف قمعه وإذلاله لشعبنا الفلسطيني.

في العدوان والحرب الهمجية على شعبنا، علينا تأجيل خلافاتنا والترفّع عن المهاترات والمناكفات، والارتقاء جميعاً الى مستوى المسؤولية والتحدي، فالعدوان هو على شعب بكامله وليس فصيلاً بعينه أو بذاته، وأي خسارة أو هزيمة للمقاومة في غزة هي خسارة وهزيمة للشعب الفلسطيني، ولعلّنا نذكر جيداً بعدما شاركت جيوش العربان مع التحالف الأطلسي في العدوان وغزو العراق، تحت ما يسمى بحلف حفر الباطن، فبعد الحرب ومع انعقاد مؤتمر مدريد، قال وزير الخارجية الأميركي آنذاك بيكر لوزير الخارجية السوري الذي طالبه بتطبيق قرارات الشرعية الدولية وانسحاب «إسرائيل» من الجولان والأراضي الفلسطينية المحتلة: لقد هزمتم في الحرب والمهزوم لا يفرض شروطه.

يجب أن نعي أن هزيمة المقاومة في غزة ستجعل أميركا و«إسرائيل» يفرضون علينا المزيد من الشروط، فهل نعي ذلك؟

فن القتل والإجرام والإرهاب.. القاسم المشترك المميّز بين «داعش» و«إسرائيل»

■ جاك خزمو*

قاسم مشترك مميّز على الأقلّ يربط «داعش» بـ«إسرائيل» هو «فن» القتل والإجرام والإرهاب. فهما تمارسان هذا القاسم المشترك بأبشع صوره، ما يؤكد أنهما تعملان لهدف واحد، هو تدمير عالمنا العربي عبر إضعافه وزرع أجواء الرعب والإرهاب بين مواطنيه المدنيين الآمنين.

تطلب «داعش» من العرب المسيحيين في العراق، وبخاصة في مدينة الموصل أن يختاروا بين اعتناق الدين الإسلامي «بالإكراه» أو دفع الجزية، أو مغادرة الموصل، أو القتل... وفي الوقت نفسه تطلب «اسرائيل» بالطلب من سكان حي الشجاعية البالغ عددهم نحو مئتي ألف عربي فلسطيني بمغادرة أماكن سكناهم لأن «إسرائيل» ستقصف بيوتهم والحي بكامله.

صلبت «داعش» طفلين حتى الموت، ورجمت الزناة، في حين أن «إسرائيل» قتلت عائلات في منازلها قصفاً، والتهمة أنهم مقاومون لا يخنعون للإرادة «الإسرائيلية».

ارتكبت «داعش» العديد من الجرائم في العديد من المناطق السورية، وآخرها جريمة في منطقة حمص استهدفت أكثر من 250 مواطناً وعاملاً ومدنياً بتهمة انتمائهم إلى الوطن، وقصفت «إسرائيل» حي الشجاعية بأطنان من المتفجرات لترتكب مجزرة بشعة قضى ضحيتها نحو 60 شهيداً و300 جريح، بتهمة أنهم فلسطينيون يحتضنون المقاومة.

«إسرائيل» تحظى بدعم سياسي عالمي، خاصة من المجتمع الدولي، ويعتبر هذا المجتمع ما تقوم به «إسرائيل» من قتل وإرهاب في حق الفلسطينيين «دفاعاً عن النفس»، في حين أن «داعش» تتلقى الدعم، فهي بحسب تبريرهم «ثورة»، علماً أن غالبية أعضاء هذا التنظيم ليسوا سوريين وليسوا عرباً، والقائمون بعمليات تفجيرية انتحارية تستهدف المدنيين هم مرتزقة، وآخرهم يحمل الجنسية الألمانية في التفجير الانتحاري الذي طال بغداد.

من يوفر السلاح لـ«داعش» هو المصدر نفسه الذي يوفر العتاد والمال لـ«إسرائيل»، وبخاصة السلاح القاتل المميت المحرّم دولياً.

تحمل «داعش» آراءً متطرفة ومتشددة في الدين ويصدر رجال الدين الموالون لها «الفتاوى» التي تبرر القتل، و«إسرائيل» دولة يحكمها اليمين المتطرف الذي يؤمن بأن دولتهم يجب أن تكون يهودية، تماماً مثلما يقول «الداعشيون» إن «دولة» خلافتهم هي للمسلمين فحسب.

ساهمت «داعش» في حرب تدمير سورية وهي تشارك اليوم في حرب لتدمير العراق، وهدف التدمير إضعاف هاتين الدولتين وتقسيمهما ومسّ الوحدة الوطنية، كذلك تحمل «إسرائيل» الهدف نفسه في حربها على القطاع وهو ضرب المقاومة، والمصالحة الوطنية وإضعاف عالمنا العربي.

عالمنا الراهن، عالم العولمة والانفتاح، هو عالم منافق، غير واقعي، يكيل بأكثر من مكيالين في تعامله مع قضايا العالم. يدّعي أنّه ضد الإرهاب في حين يوفر الدعم له بالسلاح والمال. يتفرج على عمليات القتل والإجرام «الإسرائيلية» و«الداعشية» ولا يفعل شيئاً لردعهما عن القيام بذلك.

لكن، وهذه حقيقة، وهذا ما تعلمناه عبر التاريخ، أن القوي المنافق الدجال سيدفع الثمن في نهاية المطاف، لأنّ ارادة الشعوب أقوى من آلات الطغيان والدمار كلّها. والشعب العربي، سواء في سورية أو العراق أو فلسطين، وتحديداً في غزة، يملك عزيمة كبيرة وإرادة صلبة في التصدي للظلم والقهر والإجرام، وسيسجل له التاريخ أعظم صور البطولة والكرامة والشجاعة، في حين أن المجرم لن يلقى سوى الخزي والعار، ومصيره إلى مزابل الأمم والتاريخ.

* رئيس تحرير مجلة «البيادر» القدس الشريف